

تفسير ابن كثير

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ^ج وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ^ج جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ

قال ابن جرير : هذا من تمام قيل موسى لقومه . يعني : تذكاره إياهم بأيام الله ، بانتقامه من الأمم المكذبة للرسل . وفيما قال ابن جرير نظره والظاهر أنه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الأمة ، فإنه قد قيل : إن قصة عاد و ثمود ليست في التوراة ، فلو كان هذا من كلام موسى لقومه وقصه عليهم ذلك فلا شك أن تكون هاتان القصتان في " التوراة " ، والله أعلم . وبالجمله فالله تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد و ثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل ، مما لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل أتتهم رسلهم بالبينات ، أي : بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات . وقال ابن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله أنه قال في قوله : (لا يعلمهم إلا الله) كذب النسابون . وقال عروة بن الزبير : ما وجدنا أحدا يعرف ما بعد معد بن عدنان . وقوله : (فردوا أيديهم في أفواههم)

اختلف المفسرون في معناه ، فقليل : معناه : أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت عنهم ، لما دعوهم إلى الله ، عز وجل . وقيل : بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم . وقيل : بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل . وقال مجاهد ، ومحمد بن كعب ، وقتادة : معناه أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم . قال ابن جرير : وتوجيهه أن " في " هاهنا بمعنى " الباء " ، قال : وقد سمع من العرب : " أدخلك الله بالجنة " يعنون : في الجنة ، وقال الشاعر : وأرغب فيها عن لقيط ورهطه عن سنبس لست أرغبيرد : أرغب بها . قلت : ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام : (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) فكأن هذا [والله أعلم] تفسير لمعنى رد أيديهم في أفواههم . وقال سفيان الثوري ، وإسرائيل ، عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله : (فردوا أيديهم في أفواههم) قال : عضوا عليها غيظا . وقال شعبة ، عن أبي إسحاق ، أبي هبيرة ابن مريم ، عن عبد الله أنه قال ذلك أيضا . وقد اختاره عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ووجهه ابن جرير مختارا له ، بقوله تعالى عن المنافقين : (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) [آل عمران : 119] . وقال العوفي ، عن ابن

عباس : لما سمعوا كتاب الله عجبوا ، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم . وقالوا : (إنا كفرنا
بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) يقولون : لا نصدقكم فيما جئتم به ;
فإن عندنا فيه شكا قويا .